

لَسْفُ السُّبُرَاتِ

تَصْنِيفُ

مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ بْنِ سَلِيمَانَ التَّمِيميِّ
ت ١٢٠٦ رحمه الله رحمةً واسعةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَعْلَمُ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ،
وَهُوَ دِينُ الرَّسُولِ الَّذِي أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَيَّ عِبَادَهُ.

فَأَوْلُهُمْ: نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا فِي
الصَّالِحِينَ: وَدٌ، وَسُوَاعٍ، وَيَغُوثٍ، وَيَعْوَقَ، وَنَسْرٍ.

وَآخِرُ الرُّسُلِ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي كَسَرَ صُورَ هُؤُلَاءِ
الصَّالِحِينَ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَنَاسٍ يَتَعَبَّدُونَ وَيَحْجُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ
وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ وَسَائِطًا بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنْهُمُ التَّقْرُبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَنُرِيدُ
شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَهُ، مِثْلًا: الْمَلَائِكَةُ وَعِيسَى وَمَرْيَمُ وَأَنَاسٍ عَيْرِهِمْ مِنَ
الصَّالِحِينَ.

فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ يُبَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ
إِبْرَاهِيمَ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هَذَا التَّقْرُبُ وَالاعْتِقادُ مَحْضُ حَقُّ اللَّهِ
تَعَالَى، لَا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لِغَيْرِهِ، لَا لِمَلَكٍ مُقْرَبٍ وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلٍ،
فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمَا.

وَإِلَّا فَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ رَسُولُ اللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَشْهُدُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَرْزُقُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُحْيِي وَلَا يُمِيتُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ؛ كُلُّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ تَصْرُفِهِ وَقَهْرِهِ.

فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ رَسُولُ اللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَشْهُدُونَ بِهِذَا فَاقْرُأْ عَلَيْهِ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مِنْ يَمِيلُكُ الْسَّمَعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيَّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يُونس: ٣١] الآية، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ٨٤]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُمْ سَحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩]، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالِلَةِ عَلَى ذَلِكَ.



إِذَا تَحَقَّقَتْ أَنَّهُمْ مُقْرُونَ بِهَذَا، وَأَنَّهُ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ
الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَعَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدوْهُ هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ، الَّذِي
يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا الْأَعْتِقَادِ؛ كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ ﷺ
لَيْلًا وَنَهَارًا، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْمَلَائِكَةَ لِأَجْلٍ صَلَاحِهِمْ وَقُرْبَاهُمْ
مِنَ اللَّهِ ﷺ؛ لِيَشْفَعُوا لَهُمْ، أَوْ يَدْعُو رَجُلًا صَالِحًا مِثْلًا: الَّاتِّ، أَوْ
نَبِيًّا مِثْلَ عِيسَى.

وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى هَذَا الشَّرِكِ، وَدَعَاهُمْ
إِلَى إِحْلَاصِ الْعِبَادَةِ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَنَّ
الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجِنْ: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿لَهُ دُعَوةٌ
لُّهُقٌّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَحِبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرَّعد: ١٤].

وَتَحَقَّقَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ لِيُكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ اللَّهُ،
وَالدُّعَاءُ كُلُّهُ اللَّهُ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ اللَّهُ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ اللَّهُ، وَالاسْتِغَاةُ كُلُّهَا
بِاللَّهِ، وَجَمِيعُ أَنْواعِ الْعِبَادَةِ كُلُّهَا اللَّهُ.

وَعَرَفْتَ أَنَّ إِفْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ،
وَأَنَّ قَصْدَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، أَوِ الْأَنْبِيَاءُ، أَوِ الْأُولِيَاءُ؛ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ
وَالتَّقْرُبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.

= عَرَفْتَ حِينَئِذِ التَّوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَى عَنِ
الإِفْرَارِ بِهِ الْمُشْرِكُونَ.



وهذا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِكَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ (الإِلَهَ) عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لِأَجْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، سَوَاءً كَانَ مَلَكًا، أَوْ نِيَّاً، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جِنِّيًّا.

لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ إِلَهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ، وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِ(الإِلَهِ) مَا يَعْنِي بِهِ الْمُسْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ السَّيِّدِ، فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَالْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعْنَاهَا، لَا مُجَرَّدُ لَفْظِهَا.

وَالْكُفَّارُ الْجُهَّاُلُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْتَّعْلُقِ، وَالْكُفْرُ بِمَا يُعْبُدُ مِنْ دُونِهِ وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالُوا: ﴿أَجْعَلَ الْآلهَةَ إِلَهًا وَجَدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّاَلَ الْكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ؛ فَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَدَعِي الْإِسْلَامَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مِنْ تَقْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَا عَرَفَ جُهَّاَلُ الْكُفَّارِ، بَلْ يَظْنُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلْفُظُ بِحُرُوفِهَا، مِنْ غَيْرِ أَعْتِقادِ الْقَلْبِ لِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَانِي، وَالْحَادِقُ مِنْهُمْ يَظْنُ أَنَّ مَعْنَاهَا: لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ.

فَلَا خَيْرٌ فِي رَجُلٍ جُهَّاً الْكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعْنَى لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ.



إِذَا عَرَفْتَ مَا قُلْتُ لَكَ مَعْرِفَةً قَلْبٌ ، وَعَرَفْتَ الشُّرُكَ بِاللَّهِ الَّذِي
قَالَ اللَّهُ فِيهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن
يَشَاءُ ﴾ [النَّسَاءٍ : ٤٨].

وَعَرَفْتَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوْلَاهُمْ إِلَى آخِرِهِمْ ،
الَّذِي لَا يَقْبِلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ .

وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ بِهِذَا = أَفَادَكَ
فَائِدَتَيْنِ :

الْأُولَى : الْفَرَحُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ
يَفَضِّلُ اللَّهُ وَرِحْمَتِهِ فَيَذَلِّكَ فَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يُونُسٌ : ٥٨].

وَأَفَادَكَ أَيْضًا الْخَوْفُ الْعَظِيمُ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ
يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ
فَلَا يُعْذِرُ بِالْجَهْلِ ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظْنُ أَنَّهَا تُقْرَبُهُ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى
كَمَا ظَنَّ الْكُفَّارُ .

خُصُوصًا إِنَّ أَلْهَمَكَ اللَّهُ مَا قَصَّ عَنْ قَوْمٍ مُوسَى عليه السلام - مَعَ
صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ - أَنَّهُمْ أَتُؤْهُ قَائِلِينَ : ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَيْهَا كَمَا لَهُمْ
إِلَهٌ ﴾ [الأعراف١٢٨] ؛ فَحِينئذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ عَلَى مَا
يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْتَالِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَّوْحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ إِلَّا نِسْ وَالْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَكُتُبٌ وَحُجَّجٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَهَاكَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ، أَهْلِ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَّجٍ = فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ: أَنْ تَعَلَّمَ مِنْ دِينِ اللَّهِ مَا يَصِيرُ سِلَاحًا تُقَاتِلُ بِهِ هُؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ لِرَبِّكَ رَبِّكَ: ﴿لَا أَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَتَنَاهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَكِيرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

ولَكِنْ إِنْ أَقْبَلْتَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَصْبَغْتَ إِلَى حُجَّجِ اللَّهِ وَبَيْنَاتِهِ فَلَا تَخْفُ وَلَا تَحْرَنْ، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيَاطِينَ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وَالْعَامِيُّ مِنَ الْمُوَحَّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَلَبُونَ﴾ [الصَّافات: ١٧٣]،

فَجُنْدُ اللَّهِ تَعَالَى هُمُ الْغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللُّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمْ هُمُ
الْغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ.

وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَى الْمُوَحَّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ
سِلَاحٌ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ ﴿تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [التَّحْلِيل: ٨٩].

فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ الْبَاطِلِ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا
وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكُمْ بِمَثِيلٍ إِلَّا حِتَّنَكُمْ
بِالْحَقِّ وَأَحَسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الْفُرْقَان: ٣٣].

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا
أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.



وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْياءً مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِّكَلامِ أَحْتَاجَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا، فَنَقُولُ:

جَوَابُ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ طَرِيقِينِ: مُجْمَلٌ، وَمُفَصَّلٌ.

أَمَّا الْمُجْمَلُ: فَهُوَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ إِيمَانٌ مُحَكَّمٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَبِّهَتٍ﴾ [آل عمران: ٧].

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ، فَاخْذُرُوهُمْ».

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَلَا إِنَّكَ أَوْلَيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يوسف: ٦٢]، أَوْ إِنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، أَوْ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ ذَكَرَ كَلَامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ، وَأَنْتَ لَا تَفْهُمُ مَعْنَى الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ.

فَجَابَهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ لَنَا فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ نَيْعٌ يَتَرُكُونَ الْمُحْكَمَ وَيَتَبَعُونَ الْمُتَشَابِهَ، وَمَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُقْرُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُ كَفَرُهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَوِ الْأَنْبِيَاءِ أَوِ الْأَوْلَيَاءِ مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿هَتَوْلَاءٌ شُفَعَوْنًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٨]، وَهَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُعَيِّنَ مَعْنَاهُ.

وَمَا ذَكَرْتُهُ لِي أَيُّهَا الْمُشْرِكُ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ، وَلَكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلَامَ
النَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّلَهُ.

وَهُذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ، وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ وَفَقَهُ اللَّهُ
تَعَالَى، وَلَا تَسْتَهِنُهُ؛ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُلَقِّهَا إِلَّا الَّذِينَ
صَبَرُوا وَمَا يُلَقِّهَا إِلَّا ذُرُّ حَظِّ عَظِيمٍ﴾ [فُصِّلتَ: ٣٥].



وَأَمَّا الْجَوَابُ الْمُفَصَّلُ : فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ لَهُمْ أَعْتِرَاضَاتٍ كَثِيرَةٌ
عَلَى دِينِ الرُّسُلِ ، يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ .

مِنْهَا : قَوْلُهُمْ : نَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ، بَلْ نَشْهُدُ أَنَّهُ لَا
يَخْلُقُ ، وَلَا يَرْزُقُ ، وَلَا يُحْيِي ، وَلَا يُمِيتُ ، وَلَا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، وَلَا
يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ - إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا
يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ، فَضْلًا عَنْ عَبْدِ الْقَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ ، وَلِكُنْ
أَنَا مُذْنِبٌ ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ .

فَجَاوِيهِ بِمَا تَقَدَّمَ ؛ وَهُوَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مُقْرِرُونَ بِمَا ذَكَرْتَ لِي - أَيُّهَا الْمُبْطِلُ - ، وَمُقْرِرُونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لَا تُدَبِّرُ
شَيْئًا ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا الْجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ ، وَافْرَأَ عَلَيْهِ مَا
ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ .

فَإِنْ قَالَ : إِنَّ هُؤُلَاءِ الْآيَاتِ نَزَّلْتُ فِيمَنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَحْنُ
لَا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الْأَصْنَامِ ؟ أَمْ كَيْفَ
تَجْعَلُونُ الْأَنْبِيَاءَ أَصْنَاماً ؟

فَجَاوِيهِ بِمَا تَقَدَّمَ .

فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الْكُفَّارَ يَشْهُدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلُّهَا لَهُ ، وَأَنَّهُمْ مَا
أَرَادُوا مِمَّا قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ ، وَلِكُنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ
وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ ، فَأَذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْأَصْنَامَ ، وَمِنْهُمْ

مَنْ يَدْعُو الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧] ، وَيَدْعُونَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَمْمَهُ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمْمَهُ صِدِيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥].

وَادْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْوَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنَّتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فَقُلْ لَهُ : عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ كَفَرَ مَنْ قَصَدَ الْأَضْنَامَ ، وَكَفَرَ أَيْضًا مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

فَإِنْ قَالَ : الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمُ النَّفْعَ وَالضُّرَّ ، وَأَنَا أَشَهُدُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ الْمُدَبِّرُ لَا أُرِيدُ إِلَّا مِنْهُ ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، وَلَكِنَّ أَقْصِدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ شَفَاعَتَهُمْ .

فَالْجَوابُ : أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْكُفَّارِ ، سَوَاءُ بِسَوَاءٍ ، فَاقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ أَتَخْذَلُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾ [الزُّمَر: ٣] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٨] .

وَاعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ السُّبَيْهَةَ الْثَّلَاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ، فَإِذَا عَرَفْتَ
أَنَّ اللَّهَ وَضَّحَّكَهَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهَمْتَهَا فَهُمَا جَيِّدًا؛ فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ
مِنْهَا.



فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ، وَهَذَا الْأَلْتِجَاءُ إِلَيْهِمْ وَدُعَاؤُهُمْ
لَيْسَ بِعِبَادَةٍ.

فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقْرُرُ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِحْلَاصَ الْعِبَادَةِ، وَهُوَ
حَقُّهُ عَلَيْكَ.

فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: بَيْنِ لِي هَذَا الْفَرْضُ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَهُوَ
إِحْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْعِبَادَةَ وَلَا
أَنْوَاعَهَا، فَبَيْنِهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَدْعُوكُمْ تَضَعُّعاً
وَخَفِيَّةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذَا، فَقُلْ لَهُ: هَلْ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى؟
فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ، وَالدُّعَاءُ مِنَ الْعِبَادَةِ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهُ عِبَادَةُ دُعَاءٍ، وَدَعْوَتِ اللَّهَ لَيْلًا وَنَهَارًا،
خَوْفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ، هَلْ
أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ غَيْرَهُ؟
فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأُنْحِرْ﴾ [الكوثر: ٢]، فَإِذَا
أَطْعَتَ اللَّهَ وَنَحْرَتَ لَهُ، هَلْ هَذِهِ عِبَادَةُ؟

فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ : نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ : إِذَا نَحْرَتْ لِمَخْلُوقٍ : نَبِيٌّ ، أَوْ جِنِّيٌّ ، أَوْ غَيْرِهِما ،
هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ غَيْرَ اللَّهِ ؟

فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَرِّ وَيَقُولَ : نَعَمْ.

وَقُلْ لَهُ أَيْضًا : الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَّلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ ، هَلْ كَانُوا
يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللَّاتَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ؟

فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ : نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ : وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ
وَالاِلْتِجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَإِلَّا فَهُمْ مُقْرُونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُ تَحْتَ قَهْرِ اللَّهِ ،
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، وَلَكِنْ دَعْوَهُمْ وَالْتَّجَؤُوا إِلَيْهِمْ لِلْجَاهِ
وَالشَّفَاعَةِ ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جَدًّا .



فَإِنْ قَالَ : أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَبَرَّأُ مِنْهَا ؟

فَقُلْ : لَا أُنكِرُهَا وَلَا أَتَبَرَّأُ مِنْهَا ; بَلْ هُوَ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ فِي الْمَحْسَرِ ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ ، وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لَهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الرَّمَرَ: ٤٤] ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِنِّ﴾ [البَقَرَةَ: ٢٥٥] ، وَلَا يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَنِي﴾ [الْأَنْبِيَاءَ: ٢٨] ، وَهُوَ لَا يَرْضَى إِلَّا التَّوْحِيدَ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغُ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [آلِ عِمَرَانَ: ٨٥].

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلَّهَا لَهُ ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ ، وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ = تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لَهُ ، وَأَنَا أَطْلُبُهَا مِنْهُ ، فَأَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمنِي شَفَاعَتَهُ ، اللَّهُمَّ شَفْعُهُ فِي ، وَأَمْثَالَ هَذَا.

فَإِنْ قَالَ : النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَى الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ ؟
فَالْجَوابُ : أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ ، وَنَهَاكَ أَنْ تَدْعُوَ مَعَهُ أَحَدًا ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الْجَنَّ: ١٨] ، وَطَلَبْتُكَ مِنَ

الله شفاعة نبيه عبادة، والله نهاك أن تشرك في هذه العبادة أحداً، فإذا كنت تدعوا الله أن يشفعه فيك فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وأيضاً: فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون، والأفراد يشفعون، والأولياء يشفعون،أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فاطلبها منهم؟

فإن قلت هذا، وجوزت دعاء هؤلاء، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه.

وإن قلت: لا، بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة، وانا أطلب مما أعطاه الله.



فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، حَاشَا وَكَلًا، وَلَكِنَّ
الْأَلْتِجَاءِ إِلَى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشَرِكٍ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقْرِرُ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الشَّرِكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ
الرِّزْنَا، وَتُقْرِرُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُهُ، فَمَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي عَظَمَهُ اللَّهُ وَذَكَرَ
أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؟! فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي.

فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشَّرِكِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟
كَيْفَ يُحَرِّمُ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذَا وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ، وَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ
وَلَا تَعْرِفُهُ؟ أَتَظْنُ أَنَّ اللَّهَ يُحَرِّمُهُ هَذَا التَّحْرِيمَ وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟!

فَإِنْ قَالَ: الشَّرِكُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الْأَصْنَامِ.

فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟

أَتَظْنُ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الْأَحْجَارَ وَالْأَخْشَابَ وَالْأَشْجَارَ
تَخْلُقُ وَتَرْزُقُ وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟! فَهَذَا يُكَذِّبُهُ الْقُرْآنُ.

وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقْصِدُونَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَرًا، أَوْ بُنْيَةً عَلَى قَبْرٍ
أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ
رُلْفَى، وَيَدْفَعُ عَنَّا اللَّهُ بِرَكَتِهِ، وَيُعْطِيَنَا بِرَكَتِهِ.

= فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَهُذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الْأَحْجَارِ وَالْبَلْنَى الَّذِي

عَلَى الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا، فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ
وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَأَيْضًا : قَوْلُكَ : الشَّرْكُ : عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ
الشَّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الْاعْتِمَادَ عَلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لَا
يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟

فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ كُفُرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى
الْمَلَائِكَةِ أَوْ عِيسَى أَوِ الصَّالِحِينَ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَدًا مِنَ
الصَّالِحِينَ، فَهُوَ الشَّرْكُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.
وَسِرُّ الْمَسَأَلَةِ : أَنَّهُ إِذَا قَالَ : أَنَا لَا أَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا.

فَقُلْ لَهُ : وَمَا الشَّرْكُ بِاللَّهِ؟ فَسَرِّهُ لَيِّ.

فَإِنْ قَالَ : هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ.

فَقُلْ لَهُ : وَمَا عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ؟ فَسَرِّهَا لَيِّ.

وَإِنْ قَالَ : أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ.

فَقُلْ : مَا مَعْنَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؟ فَسَرِّهَا لَيِّ.

فَإِنْ فَسَرَهَا بِمَا بَيَّنْتُهُ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ
يَدَعِي شَيْئًا وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ.

وَإِنْ فَسَرَهَا بِغَيْرِ مَعْنَاهَا؛ بَيَّنَتْ لَهُ الْآيَاتِ الْواضِحَاتِ فِي
مَعْنَى الشُّرُكِ بِاللَّهِ، وَعِبَادَةِ الْأُوْثَانِ؛ أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَ فِي هَذَا
الزَّمَانِ بِعَيْنِيهِ.

وَأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا
وَيَصِيُّحُونَ مِنْهُ، كَمَا صَاحَ إِخْرَانُهُمْ حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الْأَلَهَةَ إِلَهًا
وَأَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَنَّهُ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥].



فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكُفُرُوا بِدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا كَفَرُوا لَمَّا قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَنَحْنُ لَمْ نَقُولْ: إِنَّ عَبْدَ الْقَادِيرِ وَلَا غَيْرُهُ ابْنُ اللَّهِ.

فَالجوابُ: أَنَّ نِسْبَةَ الْوَلَدِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كُفْرٌ مُسْتَقِلٌ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢]، وَالْأَحَدُ: الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ، وَالصَّمَدُ: الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ، فَمَنْ جَحَدَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ أَخْرَ السُّورَةِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكِلْدُ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، فَمَنْ جَحَدَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ أَوَّلَ السُّورَةِ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَنْتََنَّ اللَّهَ مِنْ وَلِيٍّ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلَّاً مِنْهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًا.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْكُفَّارِينَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَيْضًا: أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِدُعَاءِ الْلَّاتِ - مَعَ كَوْنِهِ رَجُلًا صَالِحًا - لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللَّهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِبَادَةِ الْجِنِّ لَمْ يَجْعَلُوهُمْ كَذِيلَكَ.

وَكَذِلِكَ الْعُلَمَاءُ أَيْضًا فِي جَمِيعِ الْمَذاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، يَذْكُرُونَ فِي بَابِ حُكْمِ الْمُرْتَدِ: أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ وَلَدًا فَهُوَ مُرْتَدٌ، وَإِنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَهُوَ مُرْتَدٌ، فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ.

وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَثُونَ﴾ [يوسوس: ٦٢].

فَقُلْ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَلَكِنْ لَا يُعْبُدُونَ، وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ إِلَّا عِبَادَتَهُمْ مَعَ اللَّهِ، وَإِشْرَاكُهُمْ مَعَهُ، وَإِلَّا فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ حُبُّهُمْ، وَاتِّبَاعُهُمْ، وَالإِقْرَارُ بِكَرَامَاتِهِمْ، وَلَا يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ الْبَدْعِ وَالضَّلَالَاتِ، وَدِينُ اللَّهِ وَسَطْرُ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، وَهُدًى بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ.



فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمِنِنَا الْأَعْتِقَادُ
هُوَ الشَّرْكُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ
عَلَيْهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الْأَوَّلِينَ أَحَقُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ وَقْتِنَا بِأَمْرِينِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْأَوَّلِينَ لَا يُشْرِكُونَ وَلَا يَدْعُونَ الْمَلَائِكَةَ أَوِ
الْأُولِيَاءِ أَوِ الْأَوْثَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشَّدَّةِ
فَيُخْلِصُونَ الدِّينَ لِلَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْقُلُكِ دَعَوْا اللَّهَ
مُخَاصِّيَنَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّنُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]،
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾
[الإسراء: ٦٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنَّ أَتَنَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَنَكُمْ
السَّاعَةُ أَغْيَرُ اللَّهَ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:
٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَ الْإِنْسَنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا
حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ سَوَّ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [الزُّمر: ٨] الْآيَةُ،
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيْهِمْ مَوْجٌ كَأَظْلَلَ﴾ [القمان: ٣٢].

فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَحَّاهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ؛ وَهِيَ أَنَّ
الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلُوهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي
الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشَّدَّةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَنْسَوْنَ
سَادَاتِهِمْ = تَبَيَّنَ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشِرْكِ الْأَوَّلِينَ، وَلَكِنْ
أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَهُمْ رَاسِخُوا؟! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَالْأَمْرُ الثَّانِي : أَنَّ الْأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنَاسًا مُقْرَبِينَ عِنْدَ اللَّهِ ؛ إِمَّا نَبِيًّا ، وَإِمَّا وَلِيًّا ، وَإِمَّا مَلَائِكَةً ، أَوْ يَدْعُونَ أَحْجَارًا وَأَشْجَارًا مُطِيعَةً لِلَّهِ تَعَالَى لِيُسَتَّ بِعَاصِيَةٍ ، وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنَاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمُ الْفُجُورَ مِنَ الزِّنَاءِ وَالسَّرِقةِ وَتَرْكِ الصَّلَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ وَالَّذِي لَا يَعْصِي - مِثْلُ الْخَشَبِ وَالْحَجَرِ - ؟ أَهُوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ فِسْقَهُ وَفَسَادَهُ وَيَسْهَدُ بِهِ .



إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْحَحُ عُقُولًا، وَأَخَفُّ شِرًّا مِنْ هُؤُلَاءِ، فَاعْلَمْ أَنَّ لَهُؤُلَاءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبْهَتِهِمْ، فَأَصْنُعْ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا.

وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَّلَ فِيهِمُ الْقُرْآنَ لَا يَشَهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُنَكِّرُونَ الْبَعْثَ، وَيُكَذِّبُونَ الْقُرْآنَ وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا، وَنَحْنُ نَشَهُدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَنُصَدِّقُ الْقُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَنُصَلِّي وَنَصُومُ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَا مِثْلَ أُولَئِكَ؟

فَالجوابُ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَقَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ، أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلَامِ.

وَكَذَّلِكَ إِذَا آمَنَ بِعَضِ الْقُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ، كَمَنْ أَقَرَّ بِالْتَّوْحِيدِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِالْتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّوْمِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الْحَجَّ.

وَلَمَّا لَمْ يُنَقِّدْ أَنَّاسٌ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْحَجَّ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ ﴿وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَعَ إِلَيْهِ سِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وَمَنْ أَقَرَّ بِهُذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الْبَعْثَ، كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النِّسَاء: ١٥٠]، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِعَضٍ وَكَفَرَ بِعَضٍ فَهُوَ كَافِرٌ حَقًّا زَالَتْ هَذِهِ الشُّبُهَةُ.

وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْنَا.



وَيُقَالُ : إِذَا كُنْتَ تُقْرِئُ أَنَّ مَنْ صَدَقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَجَهَدَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ ، فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ وَالْمَالِ بِالإِجْمَاعِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْبَعْثَ ، وَكَذَلِكَ لَوْ جَهَدَ وُجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ وَصَدَقَ بِذَلِكَ كُلَّهُ ، لَا يُجَحِّدُ هَذَا ، وَلَا تَخْتَلِفُ الْمَذَاهِبُ فِيهِ ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ كَمَا قَدَّمْنَا .

فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنِ الصَّلَاةِ ، وَالرِّزْكَةِ ، وَالصَّوْمِ ، وَالْحَجَّ ، فَكَيْفَ إِذَا جَهَدَ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ هُذِهِ الْأُمُورِ كَفَرَ ؟ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ ، وَإِذَا جَهَدَ التَّوْحِيدَ - الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلُّهُمْ - لَا يَكْفُرُ ؟ سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا أَعْجَبَ هَذَا الْجَهْلَ !

وَيُقَالُ أَيْضًا لِهؤُلَاءِ : أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُمْ يَشْهُدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَيُصَلِّونَ وَيُؤَذِّنُونَ .

فَإِنْ قَالَ : إِنَّهُمْ يَشْهُدُونَ أَنَّ مُسِيلِمَةَ نَبِيًّا .

قُلْنَا : هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ ؛ إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلًا فِي رُتْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَفَرَ وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَاتُانِ وَلَا الصَّلَاةُ ،

فَكَيْفَ يَمْنُ رَفَعَ شَمْسَانَ أَوْ يُوسُفَ أَوْ صَحَابِيًّا أَوْ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُمْ فِي
مَرْتَبَةِ جَبَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟! سُبْحَانَهُ، مَا أَعْظَمَ شَانَهُ!
﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٥٩].



وَيُقَالُ أَيْضًا : الَّذِينَ حَرَّقُهُمْ عَلَيْيِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّارِ كُلُّهُمْ يَدْعُونَ الإِسْلَامَ ، وَهُم مِنْ أَصْحَابِ عَلَيْيِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَلَكِنْ أَعْتَقَدُوا فِي عَلَيِّ مِثْلَ الْأَعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ وَشَمْسَانَ وَأَمْثَالِهِمَا ، فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةَ عَلَى قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟ أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ؟! أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الْأَعْتِقَادَ فِي تَاجِ وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ ، وَالْأَعْتِقَادَ فِي عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يُكَفِّرُ؟!

وَيُقَالُ أَيْضًا : بَنُو عُبَيْدِ الْقَدَاحِ الَّذِينَ مَلَكُوا الْمَغْرِبَ وَمِصرَ فِي زَمِنِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، كُلُّهُمْ يَشْهُدُونَ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ ، وَيُصَلِّونَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ ، فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالفةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءِ دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ ، أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى كُفْرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ ، وَعَزَّاهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى أَسْتَقْدُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ.

وَيُقَالُ أَيْضًا : إِذَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ الْأَوْلُونَ لَمْ يَكُفِرُوا إِلَّا لَأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشَّرْكِ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَالْقُرْآنِ وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَمَا مَعْنَى الْبَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ : بَابُ حُكْمِ الْمُرْتَدِ - وَهُوَ الْمُسْلِمُ الَّذِي يَكُفُرُ بَعْدِ إِسْلَامِهِ - ثُمَّ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ وَيُحَلِّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ ، حَتَّى إِنَّهُمْ

ذَكَرُوا أَشْيَاء يَسِيرَةً - عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا -، مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ وَاللَّعِبِ.

وَيُقَالُ أَيْضًا : الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿يَحْلِفُونَ بِإِلَهٍ مَا قَاتَلُوا وَلَقَدْ قَاتَلُوا كَلِمَةَ الْكُفَّارِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبه: ٧٤] ، أَمَّا سَمِعْتَ اللَّهَ كَفَرَهُمْ بِكَلِمَةٍ ؛ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ ، وَيُزَكُونَ ، وَيُحْجِجُونَ ، وَيُؤْخِذُونَ اللَّهَ .

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿قُلْ أَيُّ أَلَهٍ وَءَيْنَهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهِنُونَ﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [الثوبه: ٦٥-٦٦] ، فَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَحَ اللَّهُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، قَاتَلُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَاتَلُوهَا عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ .

فَتَأَمَّلُ هَذِهِ الشُّبُهَةَ وَهِيَ قَوْلُهُمْ : تُكَفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ ؛ أُنْاسًا يَشْهَدُونَ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُصَلُّونَ ، وَيُصُومُونَ ، وَيُحْجِجُونَ ، ثُمَّ تَأَمَّلُ جَوَابَهَا فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ .



وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا : مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - مَعَ إِسْلَامِهِمْ وَعِلْمِهِمْ وَصَالَاحِهِمْ - أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَى : ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِنَّهَا﴾ [الأعراف: ١٣٨] ، وَقَالَ أَنَاسٌ مِنَ الصَّحَابَةِ : «أَجْعَلْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ» ، فَحَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِنَّهَا﴾ .

وَلَكِنَ لِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكُفِرُوا بِذَلِكَ ، وَكَذِلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ لَمْ يَكُفِرُوا.

فَالْجَوَابُ : أَنْ تَقُولَ : إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ، وَكَذِلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ، وَلَا خِلَافٌ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا ، وَكَذِلِكَ لَا خِلَافٌ أَنَّ الَّذِينَ نَهَا هُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ لَكَفَرُوا ، وَهَذَا هُوَ الْمَطلُوبُ.

وَلَكِنَ هَذِهِ الْقِصَّةَ تُفِيدُ أَنَّ الْمُسْلِمَ - بَلِ الْعَالَمَ - قَدْ يَقْعُ في أَنْواعٍ مِنَ الشُّرُكِ لَا يَدْرِي عَنْهَا ، فَتُفِيدُ التَّعْلُمَ وَالتَّحَرُّزَ ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الْجَاهِلِ : التَّوْحِيدُ فِيهِمْنَاهُ ؛ أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْجَهْلِ وَمَكَابِدِ الشَّيْطَانِ .

وَتُفِيدُ أَيْضًا : أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُجْتَهِدُ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ كُفْرٍ ،
وَهُوَ لَا يَدْرِي ؛ فَنَبَهَ عَلَى ذَلِكَ وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ ، أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ ؛ كَمَا
فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَالَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

وَتُفِيدُ أَيْضًا : أَنَّهُ لَوْلَمْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ يُعَلَّظُ عَلَيْهِ الْكَلَامُ تَغْلِيظًا
شَدِيدًا ؛ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .



وَلِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْكَرَ عَلَى أَسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَتْلَ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَالَ: «أَقْتَلْتُهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَكَذَلِكَ أَحَادِيثُ أُخْرَى فِي الْكَفْرِ عَمَّنْ قَالَهَا.

وَمُرَادُ هؤُلَاءِ الْجَاهِلَةِ: أَنَّ مَنْ قَالَهَا لَا يَكْفُرُ، وَلَا يُقْتَلُ، وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ.

فَيُقَالُ لِهؤُلَاءِ الْجَاهِلَةِ الْمُشْرِكِينَ: مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَ الْيَهُودَ وَسَبَاهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَهُمْ يَشْهُدُونَ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُصَلِّونَ وَيَدْعُونَ الإِسْلَامَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقُوهُمْ عَلَيْيِّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّارِ.

وَهؤُلَاءِ الْجَاهِلَةِ مُقْرُونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ كَفَرَ وَقُتِلَ وَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ شَيْئاً مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ كَفَرَ وَقُتِلَ وَلَوْ قَالَهَا، فَكَيْفَ لَا تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْفُرُوعِ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ؟! وَلَكِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ مَا فَهِمُوا مَعْنَى الْأَحَادِيثِ:

فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا أَدَعَى الإِسْلَامَ؛
بِسَبِّ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا أَدَعَاهُ إِلَّا خَوْفًا عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ.

وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلَامَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا
يُخَالِفُ ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿يَتَأَبَّلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
ضَرَبُوهُمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النِّسَاء: ٩٤] الْآيَةُ؛ أَيْ تَشَبُّهُوا، فَالآيَةُ تُدْلِلُ
عَلَى أَنَّهُ يَجُبُ الْكَفُّ عَنْهُ وَالشَّبُّثُ، فَإِنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا
يُخَالِفُ الإِسْلَامَ قُتِلَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ [النِّسَاء: ٩٤]، وَلَوْ كَانَ لَا
يُقْتَلُ إِذَا قَالُوهَا، لَمْ يَكُنْ لِلشَّبُّثِ مَعْنَى.

وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الْآخَرُ وَأَمْثَالُهُ؛ مَعْنَاهُ: مَا ذَكَرْتُ أَنَّ مَنْ
أَظْهَرَ الإِسْلَامَ وَالْتَّوْحِيدَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا
يُنَاقِضُ ذَلِكَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي قَالَ: «أَقْتَلْتُهُ بَعْدَ
مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»، وَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقْاتِلَ النَّاسَ حَتَّى
يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» = هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الْخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا
لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَا قُتْلَنَاهُمْ قَتْلَ عَادٍ»؛ مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ
أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً تَكْبِيرًا وَتَهْلِيلًا، حَتَّى إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ
أَنفُسَهُمْ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَمْ تَنْفَعُهُمْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، وَلَا كَثْرَةُ الْعِبَادَةِ، وَلَا أَدَعَاءُ الإِسْلَامِ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ
مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ.

وَكَذِلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قِتَالِ الْيَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بْنِي حَيْفَةَ، وَكَذِلِكَ أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَغْرُوَ بْنِي الْمُضْطَلِقِ لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنْعُوا الزَّكَاةَ حَتَّىٰ أُنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا أَمْنَوْا إِنْ جَاءَ كُفَّارٌ فَاسِقٌ مِّنْ بَنَائِهِ﴾ [الْحُجَّرَاتُ: ٦] الْآيَةُ، وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِبًا عَلَيْهِمْ فَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ مَا ذَكَرْنَا.



وَلَهُمْ شُبَهَةُ أُخْرَى: وَهِيَ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَغْيِثُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِعِيسَى، فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ حَتَّى يَتَهَوَّا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: فَهُذَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ الْأُسْتِغْاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَيْسَ شِرْكًا.

فَالجوابُ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِ أَعْدَائِهِ! فَإِنَّ الْأُسْتِغْاثَةَ بِالْمَخْلُوقِ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَا نُنْكِرُهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى: ﴿فَاسْتَغْاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، وَكَمَا يَسْتَغْيثُ الْإِنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِهِ فِي أَشْياءِ يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْمَخْلُوقُ، وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا أُسْتِغْاثَةَ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الْأَوْلَيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، أَوْ فِي غَيْبِهِمْ فِي الْأَشْياءِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْمَخْلُوقُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

إِذَا ثَبَّتَ ذَلِكَ؛ فَالْأُسْتِغْاثَةُ بِالْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَّاسَ حَتَّى يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ، وَهُذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، أَنْ تَأْتِيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ يُجَالِسُكَ وَيَسْمَعُ كَلَامَكَ، تَقُولُ لَهُ: ادْعُ اللَّهَ لِي، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ فِي حَيَاةِهِ؛ فِي الْأُسْتِسْقَاءِ وَغَيْرِهِ، وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ فَحَاشَا وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ؛ بَلْ أَنْكَرَ السَّلْفُ عَلَى مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللَّهِ عِنْدَ قَبْرِهِ فَكَيْفَ دُعَاوَهُ نَفْسِهِ؟

وَلَهُمْ شُبَهَةٌ أُخْرَىٰ وَهِيَ : قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ فَاعْتَرَضَ لَهُ جَبْرَائِيلُ فِي الْهَوَاءِ، فَقَالَ : أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا.

قَالُوا : فَلَوْ كَانَتِ الْأَسْتِغَاثَةُ بِجَبْرَائِيلَ شِرْكًا لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ؟

فَالجوابُ : أَنَّ هَذَا مِنْ جُنُسِ الشُّبَهَةِ الْأُولَىِ ، فَإِنَّ جَبْرَائِيلَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعُهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿عَلَمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [الْتَّجْمُ: ٥] ، فَلَوْ أَذْنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، وَيُلْقِيَهَا فِي الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِفَعْلِهِ ، وَلَوْ أَمْرَهُ اللَّهُ أَنْ يَضْعَ إِبْرَاهِيمَ عَنْهُمْ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ لِفَعْلِهِ ، وَلَوْ أَمْرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ لِفَعْلِهِ .

وَهَذَا كَرْجُلٌ غَنِّيٌّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ ، يَرَى رَجُلًا مُحْتَاجًا ؛ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُقْرِضَهُ ، أَوْ يَهْبِهُ شَيْئًا يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ ، فَيَأْبَى ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُحْتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ ، وَيَضْبِرُ حَتَّى يَأْتِيَهُ اللَّهُ بِرِزْقٍ مِنْهُ ، لَا مِنَّهُ فِيهِ لَا حَدٍ .

فَأَيْنَ هَذَا مِنْ أَسْتِغَاثَةِ الْعِبَادَةِ وَالشُّرُكِ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟ !



وَلْنَخْتِمُ الْكِتَابَ بِذِكْرِ مَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ تُفْهَمُ بِمَا تَقَدَّمَ،
وَلِكِنْ نُفِرِّدُ لَهَا الْكَلَامَ لِعِظَمِ شَأنِهَا، وَلِكَثْرَةِ الْغَلَطِ فِيهَا، فَنَقُولُ :

لَا خِلَافَ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالْقَلْبِ وَاللُّسَانِ
وَالْعَمَلِ، فَإِنِّي أَخْتَلَّ شَيْءًا مِنْ هَذَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُسْلِمًا، فَإِنْ عَرَفَ
الْتَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ كَفِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ وَأَمْثَالِهِمَا.

وَهَذَا يَغْلُطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ : هَذَا حَقٌّ، وَنَحْنُ
نَفَهْمُ هَذَا، وَنَشْهُدُ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَلِكِنْ لَا نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلُهُ، وَلَا يَجُوزُ
عِنْدَ أَهْلِ بَلْدِنَا إِلَّا مَنْ وَافَقَهُمْ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْذَارِ.

وَلَمْ يَعْرِفِ الْمِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئْمَمَةِ الْكُفُرِ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَلَمْ
يَتُرْكُوهُ إِلَّا لِشَيْءٍ مِنَ الْأَعْذَارِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿أَشْتَرَوْا بِعَيْنَيْتِ اللَّهِ
ثُمَّنَا قَلِيلًا﴾ [التوبه: ٩] ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، كَقُولِهِ : ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا
يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم﴾ [البقرة: ١٤٦].

فَإِنْ عَمِلَ بِالْتَّوْحِيدِ عَمَالًا ظَاهِرًا، وَهُوَ لَا يَفْهَمُ وَلَا يَعْتَقِدُ
بِقَلْبِهِ، فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْخَالِصِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى :
﴿إِنَّ الْمُنَفِّقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ كَبِيرَةٌ طَوِيلَةٌ، تَبَيَّنُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ
النَّاسِ.

تَرَىٰ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَيَتْرُكُ الْعَمَلَ بِهِ؛ لِخَوْفِ نَقْصٍ دُنْيَاً،
أَوْ جَاهِهِ، أَوْ مُلْكِهِ، أَوْ مُدَارَةً.
وَتَرَىٰ مَنْ يَعْمَلُ بِهِ ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا، فَإِذَا سَأَلَتْهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ
يُقْلِبِيهِ إِذَا هُوَ لَا يَعْرِفُهُ.



ولَكُنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتِينِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى :
 أَوْ لَا هُمَا : مَا تَقْدَمَ ، وَهِيَ قَوْلُهُ : ﴿لَا تَعْنِزُ رُواً قَدْ كَفَرُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبه: ٦٦].

فَإِذَا تَحَقَّقَتْ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَرَّوْا الرُّومَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، كَفَرُوا بِسَبِبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ وَاللَّعِبِ ؛ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْكُفْرِ ، أَوْ يَعْمَلُ بِهِ خَوْفًا مِنْ نَقْصِ مَالٍ ، أَوْ جَاهِ ، أَوْ مُدَارَأَةً لَا حَدِّ ، أَعْظَمُ مِنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَمْرُحُ بِهَا .

وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِإِيمَانِهِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدَرَ﴾ [التحل: ١٠٦].

فَلَمْ يَعْذِرِ اللَّهُ مِنْ هُؤُلَاءِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ؛ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًا بِإِيمَانِ ، وَأَمَّا غَيْرُ هُذَا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، سَوَاءُ فَعَلَهُ خَوْفًا ، أَوْ طَمَعًا ، أَوْ مُدَارَأَةً لَا حَدِّ ، أَوْ مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ عَشِيرَتِهِ أَوْ مَالِهِ ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ إِلَّا المُكْرَهُ .

وَالآيَةُ تَدْلِي عَلَى هَذَا مِنْ جِهَتَيْنِ :

الْأُولَى : قَوْلُهُ : ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرَهَ﴾ [التَّحْلِيلٌ : ١٠٦] ; فَلَمْ يَسْتَشِنْ اللَّهُ إِلَّا الْمُكْرَهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُكْرَهُ إِلَّا عَلَى الْعَمَلِ أَوِ الْكَلَامِ، وَأَمَّا عَقِيَّدَةُ الْقَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا.

الثَّانِيَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [التَّحْلِيلٌ : ١٠٧].

فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الْكُفْرُ وَالْعَذَابَ لَمْ يَكُنْ يُسَبِّبَا الْاعْتِقادِ، وَالْجَهْلِ، وَالْبُغْضِ لِلَّدِينِ، أَوْ مَحَبَّةِ الْكُفْرِ؛ وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظًّا مِنْ حُظُوطِ الدُّنْيَا فَأَثَرَهُ عَلَى الدِّينِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

